العلاقة بين مملكتي ماري ويمحاض (حلب)
(في مطلع الألف الثاني قبل الميلاد)

بقلم : شوقي شعث

شهد مطلع الالف الثانية قبل الميلاد سقوط دولة سلالة اور الثالثة (١٩٦٠ ق.م) التي كانت تمسك بزمام الامور في شمال سوريا وبلاد مابين النهرين على يد عناصر شبه بدوية عرفها التاريخ باسم « الاموريين » وبذلك فسح المجال لتكوين ممالك امورية في بلاد مابين النهرين وشمال سورية من أهمها (يمحاض حلب) ، ماري ، قطنه ، الالاخ ، وغيرها في شمال سوريا(٢) بهذا الحدث الكبير اي بوصول الاموريين الى السيطرة على الحياة السياسية في شمال سوريا حدثت تبدلات كبيرة في النظام السياسي والاقتصادي فبعد ان كانت هناك سلطة واحدة مركزية قوية تسيطر على الحياة السياسية والاقتصادية كتلك التي عرفناها في سلالة اور الثالثة (٣) اصبحت هناك عدة سلطات ظهرت في (دويلات المدن) .

اخذت تصرف سياسة مستقلة تمام الاستقلال كل عن الاخرى طبقا لمصالحها الاقتصادية ، في ظل النظام السياسي هذا نمت ونشطت الحياة الاقتصادية والفنية واصبح لكل دولة من هذه الدويلات حياتها الخاصة بها وتجارتها الخاصة بها ، وعلى الرغم من ان هذه الدول كانت تعود الى مجموعة عرقية واحدة لم تكن تلتقي الا عند ماتتهدد مصالحها السياسية او الاقتصادية اخطار خارجية فكانت هناك المنازعات الكثيرة التي تحدث فيما بينها كالمنازعات التي حدثت بين يمحاض وماري في عصر (يهدو نلم) وكالمنازعات التي حدثت بين يمحاض وقطنة .

تظهر يمحاض من خلال الدراسات التاريخية بانها كانت اكبر واقوى تلك الممالك قاطبة وهذا ماتؤكده النصوص المكتشفة في ماري والالاخ (تل عطشانه) ، فمن رقيم عثر عليه في ماري وترجمه جورج دوسان وهو عبارة عن رسالة وجهها احد موظفي ملك ماري زمر يليم واسمه ايتور آشدو وكان حاكما على مدينة ناحور في شمال بلاد مابين النهرين حيث يقول « جمعت الملوك في (سارمنخ) واوضحت لهم الامر بالحديث التالي :

لايوجد ملك قوى لوحده عشرة او خمسة عشر ملكا يتبعون حمورابي ملك بابل ومثلها يتبع ر م سن ملك لارسا ومثلها يتبع ايبال بي ائل ملك اشنونا ومثلها يتبع اموت بي إيل ملك قطنه وعشرون ملكا يتبعون يارم لم ملك يمحاض(٤) .

ومن رقيم آخر عثر عليه ايضا في وثائق ماري ايضا وهو عبارة عن رسالة من ملك اوغاريت الى ملك يمحاض يرجوه فيها ان يتوسط او يطلب

من ملك ماري ان يسمح له ، او لابنه في مكان آخر بان يقوم بزيارة قصر ماري الذي كان ذائع الصيت في ذلك الوقت (٥) ، وان دل هذا على حرص اوغاريت على اقامة علاقات طيبة مع ملك ماري فانه يدل في نفس الوقت بأنه يحرص ان تكون هذه العلاقة عن طريق وبمعرفة ملك يمحاض القوي .

ومن الامور التي تدلنا على زعامة حلب للممالك الامورية في شمال سورية هو احتفاظها بالرب حدد الذي كان يعتبر الرب الاكبر عند الاموريين وقد حرص ملوكهم (أو زعماءعشائرهم) الاموريين على زيارة وتقديم الاضاحي له فتحدثنا النقوش أن ملك ماري زمر يليم قام بزيارة حلب وقدم الاضاحي للرب حدد(٦) وكان يحرص باستمرار على ارسال الاضاحي له مع اتباعه كما صنع لنفسه تمثالا من البرونز وقدمه للرب حدد بمناسبة اعتلائه العرش وعودته الى مملكة آبائه في ماري (٧) .

كما نجد في مكان اخر حرص ملك قطنه على تقديم الاضاحي للرب حدد الحلبي ومما يدل على اهمية الرب حدد لدى الاموريين انه عندما حدث خلاف بين ملك يمحاض وملك قطنا حيث توسط زمريليم ملك ماري لاصلاح ذات البين ونجح في ذلك اشترط ملك حلب ان يحضر ملك قطنا لتقديم الاضاحي وحلف الايمان امام الرب في حلب (٨) .

كذلك تشير بعض الرسائل التي عثر عليها في محفوظات ماري الاقتصادية والموجهة من زمريليم ملك ماري الى ياريليم ملك حلب ان الاول كان يحرص على تقديم الهدايا النفيسة الى ملك حلب ياريم ليم وتشير احد السجلات الى تسجيل لاخراج ختم اسطواني كبير من اللازورد مرسل الى ياريم ملك حلب (٩) .

هذه دلائل نسوقها على اهمية يمحاض وزعامتها للممالك الامورية في شمال سوريا .

وفيما يتعلق بالعلاقة بين ماري ويمحاض فاننا من خلال الدراسات التاريخية التي توفرت بين ايدينا نجد ان العلاقة انتقلت من علاقة سيئة الى علاقة حميمة وربما الى علاقة تبعية وغالبا ماكانت المصالح المتبادلة تتحكم في مسار وطبيعة تلك العلاقات فمن رقيم عثر عليه في ماري يعود الى عصر يهدو ليم يذكر ملك يمحاض سومو ابوخ بأنه دخل في مؤامرة مع ملك توتول وملك سمانوم ضدملك ماري يهدوليم اثناء وجوده في احدى الحروب (١٠) كما يدل على سؤ العلاقة بين الدولتين الجارتين يمحاض وماري انه عندما قام شمشي حدد ملك آشور بمهاجمة ملك ماري بمساعده اعدائها وقف ملك يمحاض متفرجا على احتلال ماري وتدميرها وذبح اسرتها المالكة التي لم ينج منها الا طفل صغير اسمه زمري ليم الذي التجأ الى ملك حلب ويبدو ان سبب هذا العداء بين ماري ويمحاض في هذه الفترة هو اقدام يهدوليم ملك ماري على التوسع على حساب جيرانه ملك تركا وملك توتول وملك حلب واحتلال مدينة ايمار (مسكنة اليوم) ميناء حلب التجاري الهام على الفرات واصبح يهدوليم يحمل لقب ملك ماري ومنطقة خانا وفي بعض الاحيان ملك ماري وتوتول ومنطقة خانا (١١) .

خلال فترة حكم شمسي حدد الذي استمر حوالي ٣٣ عاما شهدت بلاد مابين النهرين فترة من الهدوء ويبدو ان مرد ذلك يعود الى قوة الحكم الاشوري الذي بسط سلطته على كثير من البلدان المجاورة وفي نفس الوقت حرص كثير من الملوك على خطب وده ومنهم حمورابي البابلي وملك يمحاض وغيرهم فقد كان شمسي حدد يراقب كل اتفاق بين الملوك خوفا منهم فنجده ينزعج من العلاقات التي اصبحت طيبه والقرابه (المصاهره) بين السلالتين الحاكمتين في ماري ويمحاض وربما اقدم بسبب ذلك على معاقبة ملك يمحاض بفرض ضريبة عليه كما اننا نجده يقف ضد الاتفاق الذي جرى بين ملك يمحاض يملم وملك قطنه ياموت بعل(١٢) .

بعد موت شمسي حدد تغيرت الاوضاع

الدولية في بلاد مابين النهرين وشمال سوريا وبدأت محاولات زمريليم العودة الى عرش ابائه واستطاع بمساعده عساكر ملك حلب ياريم لم ان يتغلب على ابن شمس حدد الصغير (يشمع حدد) وياخذ منه مدينة ماري ويعود الى كرسي المملكه (١٣) .

بعد هذا الحدث الهام في تاريخ ماري اصبحت العلاقة بين ماري وحلب علاقة صداقة وقرابة وتبادل مصالح .

فمن حيث هي علاقة صداقة وحسن جوار فان ملك ماري زمر يليم مدين للملك يمحاض ياريملم بعودته الى عرش ابائه في ماري لذلك من الطبيعي ان يظل قريبا منه حافظا لوده سيما وان مملكة حلب بلغت ذروة قوتها في عهد ياريم ليم هذا

ومن حيث هي علاقة قرابه فان ياريم ليم زوج ابنته او اخته شبتو الى زمريليم سليل الاسرة الامورية التي كانت تحكم في ماري يوم ان كان لاجئا في بلاطه وظل زوج الاميرة الحلبية حافظا لحبه لها ولمودة اهلها ومن هذا المنطلق كان باستمرار حريصا على طلب النصح والمشورة من ملك يمحاض الذي كان يخاطبه في بعض الرسائل بالوالد ففي احدى الرسائل (١٤) نجد زمريليم ملك ماري يتحدث الى ملك حلب « الان وقد استعدت عرشي منذ ايام طويلة ليس لدى ما اقوم به سوى المعارك والحروب » .

ويبدو ان زمريليم كان بذلك يشير الى اعدائه وعلى راسهم ملك اشنونا المتحالف مع ملك عيلام والى مشكلة البدو الذين يحيطون بمملكة ماري وخاصة البنياميون في منطقة الخابور كذلك ربما كان يشير الى عصيان بعض الاتباع ويطلب العون من ملك حلب .

ومن حيث هي علاقة اقتصادية وهي العلاقة الاهم في نظري وكانت علاقة قائمة لصالح الطرفين فحلب (يمحاض) كانت تسيطر على ممر التجارة الدولية بين بلاد مابين النهرين والاناضول وسوريا ومصر هذا الممر الذي تسميه الكتب التاريخية بالممر السوري العظيم كما انها تتوسط منطقة زراعية غنية تنتج المواد الغذائية كالزيت والنبيذ والزيت لهذه الاسباب كانت ماري تحرص على العلاقات الطيبة مع يمحاض ، لقد كانت سوريا تصدر الاخشاب والحجارة الكريمة اوكانت ممرا لها الى بلاد مابين النهرين حيث كانت تجلب من جبال ابلا (١٥) وجبال الامانوس كما كانت تصدر القمح والزيت والخمور التي تنتجها الى بلاد مابين النهرين وماري وغيرها (١٦) وكذلك كانت تصدر الانسجة او الالبسة اليمحاضيه المشهورة (١٧) .

لقد استفادت ماري كثيرا من حسن علاقاتها مع يمحاض فاصبحت الوسيط التجاري بين يمحاض وبلاد مابين النهرين وبذلك اصبحت تتحكم بالتجارة وتفرض شروطها على بابل مثلا وتحرمها في بعض الاحيان من خيرات البحر الابيض المتوسط وخاصة خيرات سوريا اي انها بالمصطلح الحديث تفرض حصارا اقتصاديا عليها وربما كانت هذه الاسباب هي التي دفعت حمورابي البابلي لاستغلال الظروف الدولية بعد موت ياريم ليم وبعد ان فرغ من توطيد الامن على حدود بلاده ليقوم بغزو ماري ويدمرها .

لقد بلغت اهمية ماري التجارية في هذه الفترة ان قامت دويلات المدن في بلاد مابين النهرين بفتح ممثليات تجارية كتلك التي قامت بتأسيسها غرفة تجارة سيبار في ماري (١٨). وربما لنفس السبب حرصت ممالك الجزيرة والبليخ مثل مملكة زالفا ومملكة حاشوم الواقعة الى الشمال من زلفا على اقامة صلات حسنة بينها وبين ملك ماري زمر يليم (١٩) .

ومما يدل على اهمية العلاقات التجارية بين المملكتين مايذكره الاستاذ فينه حيث يقول :

« ان النبيذ كان ينهال بغزاره على مدينة ماري ضمن جرار ذات قياس موحد من منطقة حلب وان اشجار الكرمة المنتشرة في شمال حلب

كانت تغطي احتياجات المنطقة بكاملها وكذلك كان يصدر عن طريق الفرات من بلاد يمحاض حلب وكركميش وهي بلاد مازالت المصدر الرئيسي للزيت حتى اليوم .

اما السمسم وهو محصول معروف في شمال حلب في منطقة حاشوم وفي منطقة تونيب بالقرب من نهر العاصي فقد كان مرغوبا فيه في ماري لاستخراج الزيت والعسل وهو بضاعة غالية ونادره كما كان يأتي من فلسطين عن طريق حلب والفرات الى ماري .

كذلك كان ينقل النحاس من الاناضول عبر حلب الى ماري (٢٠) .

وعن كيفية نقل تلك البضائع من حلب الى ماري وبالعكس فيذكر نفس الباحث ان النقل البري والنهري كان يتضافران في النقل فقد كانت الحمير تنقل الحبوب والبضائع الاخرى الى مرفأ ايمار حيث تحمل الى سطح السفن الراسية هناك لتنقل الى ماري وغيرها من المناطق (٢١) .

وتشاء الاقدار ان يغيب التاريخ مملكة من اهم الممالك الامورية وهي مملكة ماري على يد مملكة امورية اخرى هي بابل كانت في وقت من الاوقات حليفة تدعمها وتقدم النجدة لها ولكن عندما تضاربت المصالح ، خاصة المصالح الاقتصادية،حدث ماحدث وظلت حلب صديقة الامس تواصل المسيرة تدافع عن استقلالها الى ان سقطت مع بابل بضربات الحثيين الاجانب القادمين من الشمال في نفس العام تقريبا (١٥٦٠ ق.م) (٢٢) .

هذه لمحة وجيزة عن العلاقات السياسية والاقتصادية التي كانت قائمة بين ماري وحلب اما العلاقات الاخرى كالعلاقات الثقافية والفنية مثلا فانه يمكن تتبعها من خلال اللقى الاثرية والمنشآت المعمارية التي عثر عليها في ماري ولكنها استظل مبتورة وناقصة حتى اكتشاف موقع مدينة حلب القديمة في العصر الاموري (مملكة يمحاض) عندها يمكن عقد مقارنة بين ماوجد في ماري من روائع فنية وبين ما سيكتشف في حلب القديمة .

لقد عبدت الاكتشافات الاثرية الحديثة التي اكتشفت في ابلا (الالف الثانية) وفي منطقة حوض الفرات الطريق أمامنا للحديث عن تلك العلاقات فما اكتشفت في قصر ابلا الذي يعود الى الالف الثانية ق.م وخاصة ماعثر عليه في المقبرة الاميرية الذي يعاصر كلا من يمحاض وماري في الالف الثانية . ولاشك ان حلب ستكون محظوظة اذا ماتم اكتشاف محفوظات هذا القصر .

ختاما أقول لقد ظلت ماري في عصر زمري ليم وفية ليمحاض حافظة لودها اعترافا بالجميل الذي اسدته لها طيلة فترة حكم زمر يليم كما انها حرصت بعد موتها على الاستمرار في رد الجميل لحلب فأعطتها وثائق تاريخها هذه الوثائق التي تشكل حتى الآن مع وثائق الالاخ (الطبقة السابقة) ووثائق بوغاز كوي مصادرنا عن تاريخ حلب في مطلع الالف الثانية قبل الميلاد.

<٥>

شجرة سلالية (٢٣)

حلب (يمحاض)	خانا ــ ماري	كركميش
	سوموم ــ إيوخ ⟵ يا چد ليم (Yaggid - lim)	
	يهدون ــ ليم (Yehdun - lim)	
يا ربم ــ ليم	....	⟵ أبلا خندا (Aplahanda)
حمورابي	زمري ليم ⟵ (Zimri - Lim)	ياتار . اما (Yatar - Amma)

شجرة سلالية (٢٤)

حلب (يمحاض)	ماري	بابــل
سومو ــ ابوخ	يهدونليم	سن موباليت
يارم ليم	↓	
حمورابي الاول (Hammurabi)	زمري ليم (Zimrilim)	حمورابي (Hammurabi)

الحواشي والتعليقات :

(١) حول الاموريين أنظر المراجع التالية :

— Haldar A. , Who were the Amorites, leiden - Brill 1971 ; kupper , des nomades en Mésopotamie au temps des rois de Mari (1957) ; Buccellati G. , the Amorites of the ur IIIperiod , 1966

(٢) حتي فيليب ، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ج ١ ص ٧١ – ٧٣ ، بيروت ١٩٥٨ ، شعث شوقي ، العلاقة بين يمحاض واوغاريت في مطلع الالف الثانية قبل الميلاد ص ٦٥ – ٦٨ ، الحوليات العربية السورية مجلد ٢٩ و ٣٠ (١٩٧٩ – ١٩٨٠) وهناك ترجمة باللغة الافرنسية للمقال نشرت في نفس العدد

chaat , chawki , AAs (1979 - 1980) PP. 263 - 267 .

(٣)

— Van Loon M. Akkadica , 27 (1982) P. 33

(٤)

— Dossin G. Syria 19 (1938) P. 117-118

(٥)

— Dossin G. , syria 18 (1937) p. 74

وفيما يتعلق بنص الرسالة التي ارسلها ملك يمحاض حمورابي الى زمري – ليم ملك ماري الذي يلقي الاضواء على الوضع الدولي لاوغاريت .

« رجل اوغاريت كتب إلي كما يلي « أرني بيت زمري – ليم أرغب أن أراه » ، الان ارسل اليك خادمه (سفيره) » .

حول هذا الموضوع ايضا انظر :

— Astour M. , ugarit and the great Power in « ugarit in retrospect » 50 years of ugarit and ugaritic , ed . by Gorden young , p. 7 1981 Eisenbraums U. S. A. , schaefer F. A. , ugaritica I (1939) P. 16 ; klengel it ., Rava , 1972 , P. 73 ; Tocci F. M. , la siria Nell'eta di Mari css 1960 , pp. 69 - 72 .

(٦)

— Astour M. , Ibid , P. 8

(٧)

— Dossin G. , Syria 19 (1938) P. 119 Fot . 3

(٨)

— Albright w. F. , New light on the history of western Asia in the second millin ., BASOR 78 (1940) P. 24 ; Dossin RA 36 , 1 (1939) P. 51 .

(٩)

— Dossin G. RA 36 (1939) P. 47

(١٠)

— Kinal F. , yamhad kiralligi , p. 194

مجلة كلية التاريخ ، جامعة أنقره ، ١٩٧٠ . ساعد في نقل المعلومات من التركية الى العربية الزميل المرحوم محمود مطلق .

(١١)

— Buccellati G. , cities and Nations of Ancient syria P. 141 , Studi semitici 26 , universita di roma .

(١٢)

— Haldar A. op. cit ., p. 40 ; Syria 32, P. 12 line 19 .

(١٣)

— Kinal F. , yamhad kiralligi , p. 193 - 194

(١٤)

— Kupper J. Northern Mesopotamia and Syria, CAH, P. 12 .

(١٥) هناك نص على تمثال جوديا ملك لاغاش يشير الى أنه استورد الاخشاب من جبال ايبلا وحول هذا انظر :

Gudea's statue B. inscription , v : 53 - 57 in thureau - Dangin (1907) 70 - 71 , translated by oppenheim , ANET PP. 268-69

وكذلك انظر شوقي شعث في بحثه حضارة ايبلا « المنشور في مجلة التراث العربي العدد الرابع التي يصدرهااتحاد الكتاب العرب بدمشق ، ونفس الباحث في اطروحته غير المنشورة التي قدمها لجامعة روما بالعام الدراسي ٧٦ — ١٩٧٧ تحت عنوان :

Tell Denit , Studi archeologici etopografici PP. 32 - 33

(١٦) حتي فليب المصدر السابق ص ٧٤ ،

Oppenheim A. L. , Ancient Mesopotamia, Chicago 1977 , PP. 91 - 92 ; Kupper J. R. Northern ... op. cit . p. 14 .

(١٧)

— Dossin G. , RA 36 , 4 (1939) p. 48

(١٨)

— Kupper J. , Northern ... PP. 14 - 15

(١٩)

— Astour M. , in « ugarit in Retrospect » P. 34 .

(٢٠)

— Astour M. , in « ugarit in Retrospect » P. 5 , ed. G. young

(٢١)

— Finet A, AAAS , 19 (1969) PP. 43-44

وهناك ملخص باللغة العربية للاستاذ محمود حريتاني نشر في نفس العدد الحوليات انظر ص ١٤٤ — ١٤٦ .

(٢٢)

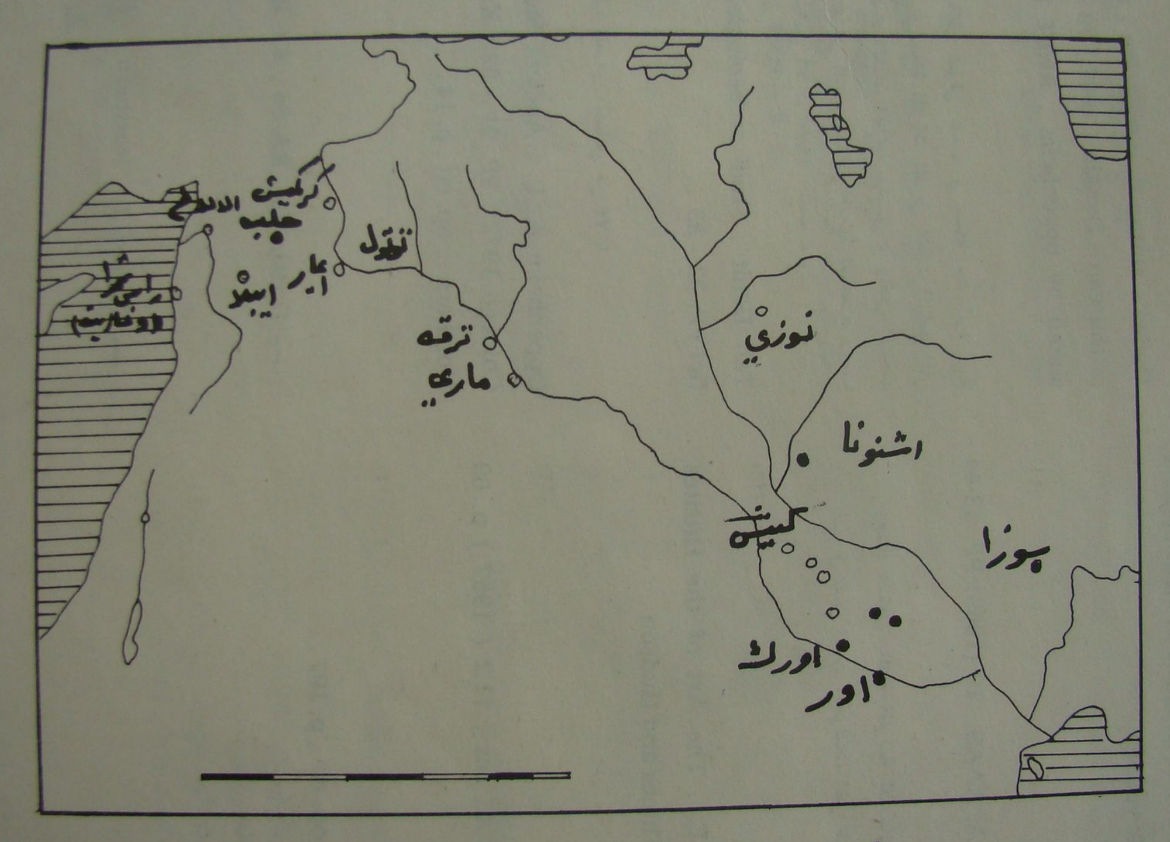
— Akurgal E. , The Art of the Hittites 1962 , P. 49 Thmes and Hudson .

(٢٣)

— Goetze A., Jcs , 11.2 (1957) p. 69

(١٤)

— Kinal F. , op. cit ., p. 197 .



شكل يبين أهم المدن التي وردت في النص